المحاضرة 06 : **الرتبة في الجملة العربية:**

1- مفهوم الترتيب:

أ- لغة: "جعل كل شيء في مرتبته"

شرح التهانوي هذا التعريف بقوله: "وزاد لفظ كل" إشارة إلى أنّ الترتيب اللغوي إنّما يتحقق إذا وضع كل شيء في موضعه.

الترتيب اللغوي إذن لا يتحقق إلا إذا وضعنا الألفاظ مرتبة حسب مقاماتها السياقية واللغوية، وذلك بمراعاة رتب الكلام في السياق أو بالتقديم والتأخير وغيره.

ب- مفهوم الترتيب اصطلاحا: " جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد، ويكون لبعضها نسبة إلى بعض بالتقديم والتأخير".

فالنسبة بين هذه الأشياء الكثيرة هي الخلاف بين التأليف فهو يحتاج إلى اعتبار نسبة بعض الأجزاء إلى بعض بالتقديم والتأخير، بينما ينحصر التأليف في الجزء الأول من مفهوم التركيب "جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد".

2- مفهوم الرتبة:

أ- لغة: فقد جاء في لسان العرب "رَتَبَ الشَيءُ يُرتبُ رُتُوبا، وترتب: ثبت فلم يتحرك...ورتَبه ترتيبًا: أثبته...والرتبة: الواحدة من رتبات الدّرج، والرتبة والمرتبة: المنزلة عند الملوك ونحوْها."

فالمعني اللغوي للرتبة هو الثبوت.

ب- اصطلاحا: يختلف مفهوم الرتبة عند النحاة أو علماء البلاغة العربية عن مفهومه عند علماء اللسانيات، وذلك لأنّ الرتبة في النحو تدل على ذلك الموضع أو الموقع الذي تأخذه الكلمة من كلمات في تتابعها مع غيرها من الكلمات داخل الجملة، مع إمكانية أن تتقدم أو تتأخر حسب ما تجيزه قواعد اللغة، بذلك تتم على نطاقين كما أشار إليه تمام حسان أحدهما؛ مجال الرتبة المحفوظة، والآخر، مجال الرتبة غير المحفوظة...ومن الرتب المحفوظة في التركيب العربي: أن يتقدم الموصول على الصلة، والموصوف على الصفة، وحرف الجر على المجرور، وحرف العطف على المعطوف، وأداة الاستثناء على المستثنى، وحرف القسم على المقسم به، وواو المعية على المفعول معه، والمضاف على المضاف إليه، والفعل على الفاعل، أو نائب الفاعل، وفعل الشرط على جوابه...ومن الرتب غير المحفوظة في النحو العربي: رتبة المبتدأ والخبر، ورتبة الفاعل والمفعول به، ورتبة المفعول به والفعل..."

ويظهر بهذا أنّ مفهوم الرتبة عند علماء النحو أو البلاغة العربيين، لم يخرج في مفهومه الاصطلاحي عن دلالته اللغوية، وهو الموضع الثابت لكلمة من الكلمات داخل الجملة، مع التمييز بين نوعين منها بإلحاق صفتي المحفوظة أو غير المحفوظة للتمييز بين ما يجوز فيه التقديم وما يمتنع فيه ذلك. أمّا في اللسانيات فقد أخذ مفهوم الرتبة منحى آخر يختلف كلّ الاختلاف عن دلالته اللغوية ودلالته الاصطلاحية عند النحاة البلاغيين، وهو مفهوم النمط أو

الترتيب الذي ترد عليه عناصر الجملة (فعل + فاعل+ مفعول) في لغة من اللغات، وهو مفهوم ظهر مع اللسانيات التوليدية في النصف الثاني من القرن العشرين...وفي هذا السياق يقدّم كذلك الباحث المغربي أحمد المتوكل" مفهوما للرتبة، يعتمد فيه على التحديد الرياضي، بقوله: "يقال عن مجموعة من العناصر بوجه عام، إنّها مرتبة، إذا كانت تشكل سلسلة تتوالى وحداتها خطيا كما هو الشأن بالنسبة للمتوالية التالية: (أ+ ب+ ج+ د)".

ولنفهم المسالة بشكل جيّد أو نفرّق بين المفهومين، يمكن اعتبار أن الرتبة بالنسبة لعلماء النحو البلاغة العربيين، هي ذلك الموضع الذي تأخذ كلمة من الكلمات داخل (ج) أو الجملة، والتي يمكن التمييز فيها بين موضعين؛أحدهما ثابت تأخذه العناصر التي يمتنع فيها التقديم: كالفاعل في الجملة الفعلية واسم كان أو إنّ وخبرها في الجملة الاسمية، والآخر متغير تأخذه العناصر التي يجوز فيها التقديم؛ كالمفعول به في الجملة الفعلية، وخبر كان في الجملة الاسمية، بينما تعدّ الرتبة في اللسانيات نمطا ثابتا لعدد من العناصر في الجملة، قبل أن يطرأ عليها أي تغيير أو تحويل حسب مفهوم النظرية التوليدية التحويلية، التي يرتبط بها هذا المفهوم أكثر من ارتباطه بأية نظرية أخرى من نظريات البحث اللساني. وبعبارة أخرى يقتصر مفهوم الرتبة عند النحاة وعلماء البلاغة العربية على الكلمة، بينما يقتصر مفهومه عند علماء اللسانيات على الجملة.

3- أنواع الرتبة في الجملة العربية:

1- الرتبة في الجمل الفعلية: تتكون الجملة الفعلية من مسند هو الفعل ومسند إليه هو الفاعل أو نائبه، والعديد من مخصصات الفعل بما فيها المفعول به، والمفعول فيه، والمفعول معه، والمفعول لأجله، والمفعول المطلق، والحال، والمستثنى، والتمييز، والجار والمجرور، وتعرف مجمل هذه العناصر في علاقتها مع الفعل في الجمل الفعلية، نوعين من الرتبة:

1-1- رتبة الفاعل: يأخذ فاعل الجملة الفعلية في علاقته مع الفعل نوعا من واحدا من الرتبة، وهي الرتبة الثابتة؛ حيث يرد بعد الفعل مباشرة في الجمل التي لا يتعدى فعلها إلى مفعول نحو قوله تعالى: ﴿ **وجاء إخوةُ يوسفَ فدخلوا عليه فعرفهم وهم له مُنكرُونَ﴾ يوسف** أو يتوسط بين الفعل والمفعول به في الجمل التي التي يكون فعلها متعديا إلى مفعول نحو قوله تعالى: ﴿ **وجاءُو آباهم عشاء يبكون﴾ يوسف** أو يقع بعد المفعول به مباشرة نحو قوله تعالى: ﴿ **إنّما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ﴾ فاطر** من دون أن تجيز قواعد النحو العربي تقدمه على فعله الذي يشكل معه جزءا مرتبا، كما يعبّر عن ذلك صاحب النظرية الخليلية الحديثة عبد الرحمن الحاج صالح، وبالتالي يمتنع أن يتقدم على فعله باعتباره معمولا أولا له. وينطبق على نائبه ما ينطبق عليه في هذه الرتبة تحديدا (الرتبة الثابتة).

1-2- رتبة التخصصات: تتنوع رتبة التخصصات في الجمل الفعلية بين التي تأخذ منها رتبة ثابتة والتي تأخذ رتبة متغيرة، ما لم يكن هناك مانع يمنع تقدمها. وفيما يلي التمثيل لهذه الرتب بالنسبة لكل من هذه المخصصات التي يجوز فيها التقديم ضمن هذا النوع من الجمل:

- المفعول به، نحو قولك: أخاك قابلتُ وحسنا فعلت.

- المفعول فيه، نحو قولك: يوم الجمعة سافرت، ومساء سآتي إليك.

- المفعول لأجله، نحو قولك: رغبة في صلتك قصدتك، وارتياحا إليك تحدثت.

- الحال، نحو قولك: ضاحكًا أقبل زيدٌ.

- الجار والمجرور، نحو قولك: إليك أتحدث، وعنك لن أرضى.

2- الرتبة في الجمل الاسمية: تتنوع الجمل الاسمية بين الجمل المكوّنة من مبتدأ وخبر والجملة المنسوخة بكان أو إحدى أخواتها، أو إنّ وإحدى أخواتها، أو ظن أو إحدى أخواتها، ويأخذ المسند إليه في كل من هذه الجمل رتبة واحدة وهي الرتبة الثابتة أو المحفوظة بتعبير تمام حسان باعتبار مما يمتنع فيه التقديم. أمّا الخبر فيأخذ في كلّ منها رتبة متغيرة أو غير محفوظة بتعبير تمام حسان كذلك، باستثناء خبر إنّ وأخواتها الذي يمتنع فيه التقديم وفيما يلي التفصيل في رتبة الخبر في كل من هذه الجمل:

1- خبر المبتدأ: يأخذ خبر الجملة الاسمية المكوّنة من مبتدأ وخبر رتبة متغيّرة، بحكم إمكانية تقدّمه جوازا أو وجوبا على المبتدأ في هذا النوع من الجمل. ومن مواضع تقدمه على المبتدأ جوازا أن يكون المبتدأ معرفة والخبر شبه جملة نحو قوله تعالى: ﴿ لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ﴾ الروم

أمّا مواضع تقدمه على المبتدأ وجوبا يكون فيما يلي:

- أن يكون المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة، نحو قولك: في الدار رجل، وعندك ضيف.

- أن الخبر اسم استفهام أو مضافا إلى اسم استفهام، فالأول نحو: كيف حالك؟ ومتى الرحيل والثاني نحو: ابن من أنت؟

- أن يتصل بالمبتدأ ضمير يعود على الخبر، نحو قولك: في الدار صاحبها.

- أن يكون الخبر محصورا في المبتدأ لفظا، نحو قولك: ما خالق إلا الله، وإنّما محمود من يجتهد.

2- خبر كان وأخواتها: يأخذ كذلك خبر كان وأخواتها رتبة متغيّرة فيجوز أن يتقدم على اسمها نحو قوله تعالى: ﴿ وكان حقا علينا نصرُ المؤمنين﴾ الروم. كما يجوز أن يتقدّم عليهما معا؛ أي على كان واسمها باستثناء ما كان جامدا أو غير متصرف كـ (ليس) وما سبق منها بـ (ما) النافية أو (ما) المصدرية، فيجوز أن يقال: صافية كانت السماءُ، وغزيرا كان المطرُ.

3- خبر إنّ وأخواتها: يأخذ خبر إنّ وأخواتها رتبة ثابتة أو محفوظة، مثله في ذلك اسمها وهذا بخلاف خبر المبتدأ وخبر الفعل الناسخ فيمتنع فيها تقدم اسمها أو خبرها عليها.